بسم الله الرحمن الرحيم

الإِسْرَافُ مَظَاهِرُهُ وَآثَارُهُ

الحَمْدُ للهِ العَلِيمِ الخَلاَّقِ، أَمَرَنَا بِالتَّوَسُّطِ فِي الإِنْفَاقِ، وحَثَّنَا عَلَى الاعتِدَالِ، ونَهَانَا عَنِ الإِسْرَافِ وَإِضَاعَةِ المَالِ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَرشَدَ النَّاسَ إِلَى حُسْنِ تَدبِيرِ المَالِ، إِصْلاحًا لِشَأْنِهِمْ وَإِغْنَاءً لَهُمْ عَنْ ذُلِّ الحَاجَةِ وَالسُّؤَالِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ – أَيُّهَا النَّاسُ –، وَالزَمُوا العَدْلَ فِي كُلِّ الأُمُورِ، وَاسْلُكُوا طَرِيْقَ الاقْتِصَادِ فِي المَيْسُورِ وَالمَعْسُورِ، وَاعلَمُوا أَنَّ المَالَ مَالُ اللهِ وَالإِنْسَانَ مُستَخْلَفٌ فِيهِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِيهِ بِأَمَانَةٍ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾(١)، وَمِنْ مُقتَضَيَاتِ الأَمَانَةِ أَنْ نُنْفِقَ بِلا إِسْرَافٍ وَلا تَقْتِيرٍ، فَمِنْ أَخْلاقِ الإِسْلامِ القَصْدُ وَالاعتِدَالُ، فَصَاحِبُ المَالِ مُطَالَبٌ بِالإِنْفَاقِ مِنْهُ وَعَدَمِ البُخْلِ بِهِ، وَبِالمُقَابِلِ عَدَمُ التَّوَسُّعِ وَالإِسْرَافِ، فَإِنَّهُ إِذَا بَخِلَ تَعَرَّضَ لِلمَلامَةِ، وَإِذَا أَسْرَفَ ضَاعَ مَالُهُ وَانقَطَعَ عَنْ سَيْرِهِ فِي الحَيَاةِ، وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَسْأَلُ رَبَّهُ القَصْدَ وَالاعتِدَالَ عَلَى أَيِّ حَالٍ وَفِي أَيِّ مَجَالٍ، فَكَانَ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الإِخْلاصِ فِي الغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ القَصْدَ فِي الغِنَى وَالفَقْرِ)).

أُمَّةَ الإِسْلاَمِ:

إِنَّ القَصْدَ وَالاعْتِدَالَ فِي أُمُورِ الحَيَاةِ مَظْهَرٌ حَضَارِيٌ، قَصَدَتْهُ شَرِيْعَتُنَا الشَّامِلَةُ وَحَضَّتْ عَلَيْهِ، لِيَكُونَ خُلُقًا أَصِيلاً لَدَى المُسْلِمِ، يَتَنَاوَلُ كُلَّ مَنَاحِي حَيَاتِهِ، وَكُلَّ مَظَاهِرِ إِنفَاقِهِ، سَوَاءً كَانَ مَالاً أَوْ كَلاَمًا أَوْ مَنَامًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، إِذِ التَّوَسُّطُ مَطْلُوبٌ فِي كُلِّ شَيءٍ، فَمُنْفِقُ المَالِ لاَ يُبَذِرُهُ وَلاَ يَبْخَلُ بِهِ، وَالكَلاَمُ إِذَا أَسْرَفَ فِيْهِ وَتَكَلَّمَ فِي كُلِّ شَيءٍ كَانَ وَبَالاً

(١) سورة الحديد / ٧ .

عَلَيْهِ، حَتَّى النَّومُ إِذَا أَسْرَفَ فِيْهِ أَضَاعَ وَقْتَهُ، وَإِذَا قَلَّلَ مِنْهُ أَفْقَدَ البَدَنَ صِحَّـــتَهُ، وَيَأْتِي الإِنْفَاقُ المَادِّيُّ فِي طَلِيعَةِ مَا يَنْبَغِي الاعتِدَالُ فِيهِ، فَقَدْ وَصَفَ اللهُ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ بِقَولِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[1]، فَعِبَادُ الرَّحْمَنِ هُمُ الحُكَمَاءُ العُدُولُ فِي نَفَقَاتِهِمْ، لا يَتَجَاوَزُونَ مَا حَدَّهُ اللهُ وَشَرَعَهُ، وَلا يُقَصِّرُونَ فِيمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَفَرَضَهُ.

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

يَتَجَلَّى الإِسْرَافُ فِي مَظَاهِرَ كَثِيْرَةٍ، فَهُنَاكَ إِسْرَافٌ فِي المَأْكَلِ وَالمَشْرَبِ وَهُوَ يُؤَدِّي إِلَى التُّخْمَةِ وَالمَرَضِ وَقِلَّةِ النَّشَاطِ، وَلِذَلِكَ بَيَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ القَدْرَ الَّذِي يَنْبَغِي الاقْتِصَارُ عَلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ عِنْدَمَا قَالَ: ((مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ))، وَيَلْحَقُ بِهَذَا الإِسْرَافُ فِي الوَلائِمِ وَالضِّيَافَةِ، ولا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّ ذَلِكَ مَكْرُمَةٌ، بَلْ هُوَ فِي حَقِيقَتِهِ إِضَاعَةٌ لِلمَالِ وَتَبْدِيدٌ لِنِعْمَةِ اللهِ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُقِيمُ وَلِيمَةَ الزَّوَاجِ مَثَلاً لا عَلَى أَنَّهَا سُنَّةٌ تَتَحَقَّقُ بِمَا تَيَسَّرَ مِنَ الطَّعَامِ؛ بَلْ يَدْخُلُ فِيهَا قَدْرٌ مِنَ المُفَاخَرَةِ وَالرِّيَاءِ، وَهُوَ مَا يَجْعَلُ الزَّوجَ يَلْجَأُ إِلَى الاستِدَانَةِ أَو الإِنْفَاقِ مِنْ مَالِهِ بِإِسْرَافٍ وَتَبْذِيرٍ، وقد حَذَّرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ تَحذِيرٍ فَقَالَ: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ، إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[2]، ويَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: ((كُلُوا واشْرَبُوا والبَسُوا وتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ ولاَ مَخِيلَةٍ))، وَمِنْ مَظَاهِرِ الإِسْرَافِ أَيْضًا المُبَالَغَةُ فِي شِرَاءِ المَلابِسِ وَالكَمَالِيَّاتِ، فَبَعْضُ النَّاسِ أَدَّى بِهِمْ إِسْرَافُهُمْ إِلَى شِرَاءِ مَا لاَ يَحْـــتَاجُونَ إِلَيْهِ، مَهْمَا ارتَفَعَ ثَمَنُهُ وَغَلاَ سِعْرُهُ، مُبَاهَاةً لِغَيْرِهِمْ، وتَقْـــلِيدًا وَمُحَاكَاةً لِلآخَرِينَ، نَعَمْ لَيْسَ مَمنُوعًا عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَظْهَرَ بِالمَظْهَرِ الحَسَنِ الطَّيِّبِ، وَأَنْ يُبْدِيَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ المَمنُوعَ أَنْ يَصِلَ إِلَى حَدِّ

(١) سورة الفرقان / ٦٧ .

(٢) سورة الاسراء / ٢٦-٢٧ .

الخُرُوجِ عَنِ الوَسَطِيَّةِ وَالاعتِدَالِ، بَلْ رُبَّمَا فَتَحَ بَعْضُ النَّاسِ بَابَ الاسْــتِدَانَةِ عَلَى أَنفُسِهِمْ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ يَشْتَهُونَهَا مِنْ مَتَاعِ الدُّنيَا، وَكَانَ الوَاجِبُ عَلَى العَاقِلِ أن يَحْرِصَ عَلَى سَلاَمَتِهِ مِنْ حُقُوقِ العِبَادِ، وأَنْ لاَ يَلْجَأَ إِلَى الدَّيْنِ؛ فَإِنَّ الدَّيْنَ هَمٌّ بِاللَّيلِ وَذُلٌّ بِالنَّهَارِ، وَلِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَثِيرًا مَا يَسْــتَعِيْذُ بِاللهِ مِنَ الدَّيْنِ.

فَاتَّقوا اللهَ –عِبادَ اللهِ–، وَتَفَكَّرُوا فِيْمَا أَنْتُمْ فِيْهِ مِنَ النِّعَمِ، وَمَا أَسْبَغَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ رِزْقٍ وَكَرَمٍ، وَاحْذَرُوا التَّبْــذِيرَ وَالإِسْرَافَ؛ فَإِنَّهَا سَبَبُ زَوَالِ النِّعَمِ وَحُلُولِ النِّقَمِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ الَّذِي دَبَّرَ أُمُورَ عِبَادَهُ أَحْسَنَ تَدْبِيرٍ، وَأَمَرَهُمْ بِالاقْتِصَادِ وَنَهَاهُمْ عَنِ الإِسْرَافِ وَالتَّــقْتِيرِ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُــلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ البَشِيرُ النَّذِيْرُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِيْنَ سَلَكُوا طُرُقَ الاعْــتِدَالِ وَالتَّــيْسِيرِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فيا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

مِنْ مَظَاهِرِ الإِسْرَافِ المُنْتَشِرِ الإِسْرَافُ فِي استِعْمَالِ المَاءِ، وَهُوَ تَصَرُّفٌ سَيِّئٌ غَيْرُ حَمِيدٍ، جَاءَ النَّهْيُ عَنْهُ صَرِيحًا فِي القُرآنِ المَجِيدِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾(١)، وَإِذَا كَانَ الإِسْرَافُ فِي استِعْمَالِ المَاءِ لِلشُّربِ مَنْهِيًّا عَنْهُ فَإِنَّ استِعْمَالَهُ بِإِسْرَافٍ فِي مَجَالاتٍ أُخْرَى أَكْثَرُ مَنْعًا وَأَشَدُّ خَطَرًا، وَقَدْ وَرَدَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أنهُ كَانَ يَغْتَسِلُ بِالقَلِيلِ، ويتَوَضَّــأُ بِالنَّزْرِ اليَسِيرِ، فَعَنْ أَنَسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، ويَتَوَضَّــأُ بِالمُدِّ))، أَتَدْرُونَ – عِبَادَ اللهِ – كَمِ المُدُّ؟ إِنَّهُ نِصفُ لِترٍ مِنَ المَاءِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ قَارُورَةَ المِيَاهِ المُعْــتَادَةَ تَكْفِي لِوُضُوءِ

(١) سورة الأعراف / ٣١ .

ثَلاَثَةِ أَشْخَاصٍ، أَتَدْرُونَ كَمِ الصَّاعُ؟ إِنَّهُ يُسَاوِي لِتْرَيْنِ مِنَ المَاءِ. هَذَا هُوَ حَالُ الرَّسُولِ ﷺ، فَمَا بَالُنَا لاَ نَتَمَسَّكُ بسُنَّتِهِ المُطَهَّرَةِ، وَنَعُضُّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَنَجْعَلُهَا نِبْرَاسًا يُضِيءُ لَنَا دُرُوبَ الحَيَاةِ ؟

فاتَّقُوا اللهَ – عبادَ اللهِ –، وَاذكُرُوهُ يَذْكُرْكُمْ، وَاشكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ، وَحَافِظُوا عَلَى نِعْمَةِ المِيَاهِ فَإِنَّهَا مَصْدَرُ الحَيَاةِ، وَابتَعِدُوا عَنِ الإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَغْتَرِفُونَ مِنْ نَهْرٍ كَبِيرٍ.

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا، وَعَمَلاً صَالِحًا، وَعِلْمًا نَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا، وَيَقِيْنًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

---

(١) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَاننَا وَأَعِزَّ سُلْطَاننَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، اَلْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.